

ثلاثة نصوص باللغة التركية عن المكتبات بالحجاز

تقديم وترجمة

د . سهيل صابان *

نشرت مجلتان تركيتان ثلاث مقالات عن المكتبات في الحجاز ، كانت عبارة عن دراسات ميدانية قام بها ثلاثة من الباحثين الأتراك ، أثناء زيارتهم لأداء فريضة الحج والعمرة في الفترة من ١٣٨٩هـ (١٩٦٨م) و ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) . وتكمن أهمية هذه النصوص في كونها تتناول الجانب الثقافي ، المتمثل في مكتبات الحجاز ، ولا سيما مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت - رحمه الله - الذي أنشأها بالمدينة المنورة ، وكانت غنية المحتوى من حيث وفرة المخطوطات وندرتها ، وكونها أوقف عليها أوقافاً لا يحوجها إلى الاستعانة بغيرها سواء في تنمية مجموعاتها ، أو في ترميم مقتنياتها ، أو في دفع رواتب العاملين فيها ؛ الأمر الذي تحتاجه المكتبات بصفة مستمرة .

وقد تعرض النص الأول لمسألة نقل عدد من الكتب إلى إستانبول في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ؛ بغية ترميمها وإجراء الصيانة اللازمة لها . لكن قيام الحرب العالمية الأولى وانفصال الحجاز عن الدولة

* بكالوريوس أصول الدين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦هـ ، الرياض .

- ماجستير من قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالجامعة ، ١٤٠٩هـ .

- دكتوراه من القسم نفسه ، ١٤١٥هـ .

- باحث معلومات في مكتبة الملك فهد الوطنية

العثمانية بعد هزيمتها في الحرب حال دون إرجاع تلك الكتب التي تقدر بأكثر من مائة كتاب إلى المدينة المنورة . وقد سبق أن اطلع الباحث على عناوين تلك الكتب والمراسلات التي جرت في الموضوع بين كل من محافظة المدينة المنورة والباب العالي حينما كانت الوثائق المتعلقة بالموضوع والسجل الخاص بعناوين الكتب معروضة على إحدى مكتبات المملكة لاقتنائها .

ومما لا شك فيه أن إجراء مقارنة بين النص الأول والثالث تمنحنا الفرصة في مدى التقدم الذي تشهده المكتبات في الحجاز في المملكة العربية السعودية؛ سواء من حيث تزويد المكتبات بالكتب الحديثة والدوريات، أو بترميم محتوياتها أو بنقلها إلى مبان شيدت حديثاً بأحدث "التقنيات" ، بالإضافة إلى توظيف المتخصصين في علم المكتبات ، للقيام بأداء الدور الأمثل للقراء والباحثين .. ونعرض فيما يلي المقالات الثلاثة بعد أن قمنا بترجمتها من اللغة التركية إلى العربية :

١ - النص الأول: مكتبة تركية في المدينة المنورة/ مصطفى بلغة

نشر هذا المقال في مجلة الحضارة الإسلامية الصادرة من إستانبول في (١٥ تشرين الأول ١٩٦٨م) المجلد ١٢ ، ص ص ١٦-١٩ بعنوان :

Medine'de Bir Türk Kütüphanesi / Mustafa Bilge .- Islam Medeniyeti dergisi, Cilt. 2, ss. 16 - 19 (15 Ekim 1968) .

المقال يقع في أربع صفحات ، ومعها صورة من قاعة المطالعة الداخلية ، يظهر أنها مأخوذة قبل نشر المقال بفترة وجيزة ، أي عام ١٣٨٨هـ على وجه التقريب ، وصورة من الصفحة الأولى لمخطوطة كتاب الأوائل للعسكري ، كما

احتوى كذلك على لوحة ، بها اسم المكتبة بخط حامد الآمدي ، أشهر خطاط على الإطلاق في العصر الحديث .

وفيما يلي ترجمة كاملة للمقال :

تعرف هذه المكتبة المنشأة من لدن شيخ الإسلام عارف حكمت - وهو شيخ الإسلام الخامس بعد المائة في سلسلة مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية - في الموقع الذي يعرف ببית سيدنا الحسن - رضي الله عنه - الواقع شمال المسجد النبوي الشريف على بعد ٢٠ - ٢٥ متراً منه ، بمكتبة عارف حكمت .

وقد أنشئت المكتبة على أبعاد أرض ١٤,٣٠ × ٢٧,٤٠ متراً ، على غرار المدارس العثمانية السائدة ، وفي مدخل صحنها توجد ثلاثة أبواب، كل منها يؤدي إلى مبنى ، خصص لغرض معين . ففي الجانب الشرقي يقع مبنى المكتبة ، بينما يوجد في الطرفين المجاورين لها مساكن لأمين المكتبة والعاملين فيها . ويقع بالقرب من المكتبة مكتبة المدينة العامة ، والمحكمة الشرعية .

وتحفظ كتب المكتبة في دواليب خاصة أغلقت بإحكام . لكن لم تعمل إلى الآن فهارس أو كشافات بأسماء المؤلفين أو عناوين الكتب ، غير أن هناك فهرساً تم فيه تصنيف الكتب موضوعياً . ولذلك فإن البحث عن كتاب معين يتطلب قراءة العناوين الموجودة في الموضوع المبحوث فيه كافة .

تتبع مكتبة عارف حكمت مكانة خاصة بين مكتبات المدينة المنورة . وتكمن أهميتها في محتوياتها من المخطوطات وليس فيما تقتنيه من الكتب المطبوعة، حيث تملئ الرفوف بالمخطوطات النادرة التي كتب أكثرها بأيدي مؤلفيها، وهذه المخطوطات شبه جديدة ولا تحتاج إلى تعقيم أو ترميم جوهري حسب وضعها الراهن ، وبشكل خاص إذا عرفنا وجود مجلد في المكتبة منذ

إنشائها، فهو يعمل على الدوام بتجديد ما تقادم من المجلدات أو تصليحها وترميمها .

ومما يروى أن الأتراك لما انسحبوا من هذه البلاد ، أفرغوا المكتبة من الكتب وأخذوها معهم إلى الشام ؛ حيث وضعوها في الغرف المجاورة لمدرسة مسجد السليمية بالشام ، وتركوها فترة من الزمن ، غير أنها وبمساعي حكومة المملكة العربية السعودية أعيدت ثانية إلى موقعها . ويظهر أن الرطوبة الموجودة على مجلدات الكتب وأوراقها هي من آثار الذكرى المرة .

ترجمة شيخ الإسلام عارف حكمت

تربى عارف حكمت أفندي على يد والده عصمت إبراهيم بك ، وهو قاضي عسكر الروملي ومن رجال السلطان سليم الثالث . وجدّه رائف إسماعيل باشا الملاطياوي، [نسبة لمدينة ملاطيا الواقعة في شرق تركيا] . والسيد عارف حكمت أفندي ينتسب لأسرة عملت في أعلى المناصب الحكومية [بالدولة العثمانية] فلدينا معلومات تفصيلية عن أسرته . ويظهر أنه توارث من أسرته التحلي ببعض الخصائص والاستعداد لأعمال عالية .

وأقدم مرجع يتحدث عنه إلى حين انفصاله عن المشيخة الإسلامية هو «مذكرات فاتن» . ثم المعلومات الواردة في مقدمة ديوانه مكملّة لترجمة حياته . أما السيرة الذاتية التي صدرت بها الديوان فإنها من إعداد ترناقجي زاده زيور بك . ولد عارف حكمت في عام ١٢٠١ هـ (١٧٨٦م) . وتقلد كثيراً من الوظائف الحكومية، منها قضاء القدس وقضاء مصر، وموظفاً في إدارة الأحوال المدنية ونقيباً للأشراف، وقاضي عسكر الأناضول ، وعضواً في مجلس الأحكام

العدلية، وعضواً في مجلس شورى الجيش، وأخيراً عين عام ١٢٦٢هـ (١٨٤٥م) شيخ الإسلام بعد وفاة شيخ الإسلام مكّي زاده مصطفى عاصم أفندي. وبقي في هذا المنصب سبع سنوات وستة أشهر وتسعة عشر يوماً . إذ استقال عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م) من المشيخة الإسلامية بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا . وقد أنشأ مكتبته المشار إليها في المدينة المنورة بعد استقالته من المشيخة الإسلامية . ومع أنه رغب في قضاء ما بقي من عمره بجانب مكتبته في المدينة المنورة ؛ إلا أنه لم تتحقق له تلك الرغبة . وقد توفي شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي في شهر شعبان من عام ١٢٧٥هـ إثر سكتة قلبية، ودفن في أسكودار [من أعمال إستانبول الأسيوية] في موقع يقال له بئر نوح .

شيخ الإسلام عارف حكمت وشخصيته الأدبية :

عاش الشيخ عارف حكمت في عصر تدنى فيه الأدب الديواني . وقد قرض الشعر بالعربي والفارسي والتركي . وتأثر في شعره بشكل عام وغزلياته بكل من نفعي ونابي ونديم [وهم من الشعراء العثمانيين في القرن السابع عشر والثامن عشر] . ومؤلفاته بالترتيب على النحو التالي :

١ - ديوانه . ويحتوي على مقدمة وأشعار بثلاث لغات .

٢ - مذكرة الشعراء .

٣ - مجموعة التراجم .

٤ - ذيل كشف الظنون .

٥ - خلاصة المقالات في مجالس المكالمات .

٦ - الأحكام المرئية .

نشأة المكتبة :

يظهر من الكتابة الموجودة على باب المكتبة أنه تم الانتهاء من بنائها في عام ١٢٧٢هـ (١٨٥٥م) وتوجد في وسط أعلى القبة عبارة «فيها كتب قيّمة»، ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م». والنتيجة المتوخاة من التاريخين أن البدء بإنشائها بدأ عام ١٢٧٠هـ والانتهاء منها كان عام ١٢٧٢هـ. أما المعينين في الإشراف على البناء أو تنظيمه أو المباشرين بالعمل فيه فلا توجد لدينا معلومات عنهم. ولم تنتقل إلينا في هذا الموضوع سوى ثلاث وثائق قيّمة. وقد كتبت بيد صاحبها عارف حكمت بأسلوب المرسوم السلطاني، وندرج فيما يلي بعض الفقرات منها، نظراً لأهميتها :

«بتوفيقه تعالى قد وفينا وعدنا بنقل المصاحف والكتب الوقفية لمكتبتنا في المدينة المنورة - نورها الله تعالى إلى يوم القيامة - التي أنشأناها لوجهه تعالى ، ولا نرضى بإخراج أي كتاب منها سواء عن طريق النسخ أو الإعارة .. وأن المكتبة تفتح أبوابها يومياً بعد ساعة من طلوع الشمس إلى أن تبقى ساعة لغروبها .. وأن حفظة الكتب [أمناء المكتبة] يقرأ كل واحد منهم يومياً جزأين من القرآن، بحيث يختم القرآن مرة في كل خمسة عشر يوماً، ويجعل ثوابها .. وأن كل واحد منهم بعد الفراغ من قراءة القرآن يقرأ ربع دلائل الخيرات .. وأنه وكل عثمان زهدي أفندي بمتابعة السلسلة [هكذا] في الوقف الشريف . في غرة جمادى الآخرة لسنة أربع وسبعين ومائتين وألف » .

ويظهر مما ورد من المعلومات أن وقت إنشاء المكتبة يصادف زمن شروع السلطان عبدالمجيد خان بترميم وتوسعة المسجد النبوي الشريف . ولذلك فالاحتمال الوارد أن المهندسين المشتغلين بالحرم كانوا يشرفون على العمل في المكتبة كذلك .

الفهارس الخاصة بمحتوى كتب المكتبة :

اتضح من خلال المعلومات التي استقينها أنه تم إعداد فهارس لمحتوى كتب المكتبة أربع مرات . وكما سيأتي ذكرها بعد قليل فإن الفهارس الموجودة في المكتبة الآن [بعد تاريخ نشر المقال] تتكون من أربعة دفاتر ، وتعود للمرحلة الرابعة . أما الفهارس التي أعدت في المراحل التي سبقتها؛ فلا يوجد لدينا سوى جزء يسير منها . والمراحل التي تم إعداد فهارس المكتبة فيها هي :

١ - المرحلة الأولى : وبقيت صفحة واحدة من فهارس هذه المرحلة .

ويوجد ختم حسين خيرى أفندي الخاص بالمكتبة على نهاية هذه الصفحة الباقية.

٢ - المرحلة الثانية : وهي عبارة عن الجرد الذي قام به شخصياً شيخ الحرم الشريف أمين باشا - رحمه الله - لمحتوى المكتبة . وتوجد على فهارس [هذه المرحلة] أسماء وتوقيعات مدير المكتبة عثمان آغا وأربعة أعضاء من حفظة الكتب . وبناء على ما ورد في هذه الفهارس كان عدد الكتب في المكتبة ٥٤٠٤ كتاب في ٧٦٦٢ مجلد .

٣ - المرحلة الثالثة : الفهرس الممتاز الذي تم إعداده من لدن هيئة شكلها قاضي المدينة المنورة زكي أفندي . وإن كان توجد أربعة دفاتر من هذا الفهرس إلا أنه أجريت عليها تعديلات فيما بعد . وعدد المجلدات في المكتبة حسب هذا الفهرس أيضاً مثل سابقه ٧٦٦٢ مجلد .

٤ - المرحلة الرابعة : الفهرس الذي عمل أثناء إدارة إبراهيم الخربوطي أفندي للمكتبة . وما زال [بعد تاريخ نشر المقال] هذا الفهرس هو المستخدم في المكتبة إلى الآن . حيث عمل عام ١٣٤٩ هـ (١٩٤٩ م) . والخط خط نسخ مقروء .

تفتيش الهيئة القضائية :

عمل أحمد خلوصي أفندي - أحد قضاة المدينة المنورة - شرحاً على الفهرس الذي تم إعداده في عهد قاضي المدينة زكي أفندي ، وذلك بعد ثلاث سنوات . ومن هنا يظهر أن الجالسين على منصب القضاء في البلدة الطيبة كانوا يعملون جرداً على محتوى المكتبة كل ثلاث سنوات ، وذلك بتشكيل هيئة تقوم بالنظر في الكتب من أولها إلى آخرها . وهذا الأمر قد صرح به شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي - رحمه الله - في صك الوقفية . وهناك شروح أخرى على الفهرس توضح أن الهيئة المذكورة كانت تقوم بعملها كل ثلاث سنوات . وهذا يؤكد على أن قاضي المدينة المنورة كان مسؤولاً عن حفظ الكتب وصيانتها ، بالإضافة إلى اهتمام مدير المكتبة وأمنائها الأربعة .

اهتمام سلاطين الدولة العثمانية بالمكتبة :

وجدت في زاوية إحدى الفهارس تحت قائمة معدة في ١٤ جمادى الأولى عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) خطاباً لمدير [شيخ] الحرم الشريف العبارة التالية :

«بناء على الإرادة السنية [المرسوم السلطاني] الصادرة من لدن المقام العالي لتعداد الكتب الموجودة في مكتبة شيخ الإسلام الأسبق عارف حكمت أفندي ، فقد بلغ عدد مجلداتها القديمة والجديدة ٧٦٦٢ مجلد ، وهي موجودة فيها إلى اليوم ، وبناء عليه أعدت هذه القائمة وأمهرت [أي ختمت] .

ويظهر من هذه العبارة أنه بدأ في تلك السنة [أي عام ١٣١٠هـ] جرد وإحصاء الكتب في المكتبات الموجودة داخل الممالك العثمانية ، وإعداد فهارس تفصيلية عن محتوياتها ، وتقديمها إلى السلطان عبدالمجيد خان ، بناء على

المرسومات السلطانية الصادرة منه . والعبارة السابقة لفترة ذات دلالة تظهر مدى اهتمام سلاطين الدولة العثمانية بالمكتبات ، كما أن هناك مرسوماً آخر ، على غرار المرسوم السابق ، صدر في عهد السلطان محمد رشاد [الخامس] يطلب فيه معلومات عن فهارس الكتب وأعدادها وبيانات تفصيلية أخرى بالإضافة إلى معلومات عن المكتبات نفسها. وتوجد بين أيدينا الخطابات الجوابية المرسلة من لدن أمناء المكتبات إلى إستانبول ، تحوي المعلومات المطلوبة. والطريف في الأمر مما جاء في تلك الخطابات وجود المخطوطات المكتوبة بيد مؤلفيها في المكتبات المذكورة .

العاملون في المكتبة :

كان عدد الموظفين العاملين في مكتبة عارف حكمت أفندي تسعة أشخاص . وهم بالترتيب : مدير، أربعة أمناء، مُجَلِّد واحد، بواب واحد، ساقى واحد وعامل نظافة . وكان هناك ثلاثة موظفين آخرين حسب اقتضاء الحاجة والضرورة ، وهم : قارئ الشفاء الشريف ، قارئ دلائل الخيرات وساقى دورق . وبناء على المعلومات الموجودة بين أيدينا فإن أول مدير للمكتبة هو عبدالقادر هواري أفندي ، ثم موسى كاظم الداغستاني أفندي . ومديرها الآن [بعد تاريخ نشر المقال] حافظ محمود أفندي الأغنلي ، ويعمل معه اثنان من الأمناء وبواب .

نقل الكتب وتناقصها في المكتبة :

اتضح لنا من خلال المراسلات التي تمت بين إستانبول و[المدينة المنورة] في تلك الفترة أن نقل الكتب إلى الشام وإبقائها هناك فترة من الزمن ثم إرجاعها

إلى المدينة المنورة لم يؤثر على عدد الكتب ، ولم يوجد نقص في عددها . أما أثناء وضعها في المكتبة ومقابلتها بالقوائم الموجودة فقد وجد نقص يقدر بستة وستين كتاباً ، كان قد تم إرسالها مع أمين المكتبة عمر لطفي أفندي إلى إستانبول مقابل عهدة رسمية من لدن شيخ الحرم زبور بك ، وستة عشر كتاباً آخر ضاعت من المكتبة ولم يعلم كيف ضاعت . ومع المراسلات العديدة مع إستانبول لم يتبين نقص آخر في عدد الكتب سوى ما ذكر . وليس هناك أي قيد يشير إلى إرجاع تلك الكتب من إستانبول إلى المكتبة .

وقد اتضح كذلك من خلال المراسلات التي بين أيدينا أنه ضاعت خمسة كتب أخرى أثناء إدارة إبراهيم الخربوطي للمكتبة ، بالإضافة إلى الستة عشر كتاباً المذكورة . وكان إبراهيم الخربوطي يتصرف في الكتب كما يحلو له . وقد نقل العامل الذي كان يعمل معه في المكتبة أنه كان يتردد كثيراً على شراء الكتب من التركات ، وأنه كان يستعرضها في إحدى غرف المكتبة . والمعروف في ذلك الوقت كثرة مبيعات كتب التركات . وقد ثبت فيما بعد قيام إبراهيم الخربوطي ببيع بعض الكتب النادرة لصياديها المترددين آنذاك إلى المدينة المنورة . ولذلك فلا يستغرب بيع بعض محتويات المكتبة إن كان قد حصل بالفعل .

وقد وصل عدد الكتب إلى ٥٥٣٦ كتاب (ولم يشر المصدر الذي استقيناه منه المعلومة إلى عدد المجلدات) . بعدما أضيفت إلى المكتبة الكتب المرسلة من إستانبول وبعض البلاد الأخرى على سبيل الإهداء . والآن لا يتجاوز عدد المخطوطات الموجودة بالمكتبة ٤٩٦٠ مجلد . وبناء على ذلك فهناك نقص بمقدار ٢٥٠٠ كتاب [أي مجلد] مخطوط .

رواتب الموظفين في المكتبة :

كانت الرواتب المقدمة للموظفين من وقف عارف حكمت تحسب بالفرنك الفرنسي . وهناك إشارة في مصدر آخر تفيد أن الرواتب كانت تحسب بالذهب . وبناء عليه فكان راتب المدير تسع ذهبات ، وراتب الأمناء الأربعة لكل واحد منهم خمس ذهبات ، وكان للبواب وعامل النظافة والساقي لكل واحد منها أربع ذهبات ، وذهبتان اثنتان لكل من قراء الشفاء الشريف ودلائل الخيرات ، وأما سقاة الدورق فكان كل واحد منهم يحصل على ذببة واحدة . يضاف إلى كل ذلك ، كما ذكر أنه كان يمنح العاملون في المكتبة ستمائة قرش هدية رمضان المعروفة بالرمضانية . لكن بسبب بعض الإجراءات التي نتجت من تحويل المبالغ المالية ، لم يتمكن الموظفون من الحصول على رواتبهم في بعض الأحيان .

انتقال إدارة المكتبة إلى السعوديين :

لقد ذكر في صك الوقفية أن المكتبة كانت تدار من لدن هيئة متولية لشؤونها . وكان عمر نصوحي بلمن - رئيس الشؤون الدينية [التركية] السابق - عضواً في الهيئة المذكورة الأخيرة . وقد استمرت مراسلات شديدة اللهجة بينه ، وبين مدير المكتبة إبراهيم الخربوطي . وفي خطابه الأخير ذكر عمر نصوحي بلمن مضطراً ، أنه «تقرر فصل إبراهيم الخربوطي أفندي من العمل في المكتبة ؛ نظراً لقيامه بما يؤدي إلى ذلك . فإن كان هناك من يصر على إبقائه في العمل فينبغي فصلهم كذلك من المكتبة» . وقد تيقن إبراهيم الخربوطي أفندي أنه لن يستطيع الاستمرار في سلطته على المكتبة مع سلطة الهيئة المتولية ، فرفع دعوى إلى المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة لإثبات أحقيته في التصرف في المكتبة باعتباره المدير لها حسب صك الوقفية . ويظهر أنه أثبت

للمحكمة الدلائل التي تبرهن على دعواه ، مما نتج عن ذلك صدور قرار المحكمة بأحقيته في ذلك مع عدم الحاجة لاستشارة الهيئة المتولية لشؤون المكتبة . إلا أن إبراهيم الخربوطي أفندي الذي تميز بالذكاء والحيوية لم يكتف بذلك ، بل راجع أيضاً الحكومة السعودية لربط المكتبة بوقف المدينة المنورة . فحوّلت الحكومة السعودية القضية إلى مجلس الشورى ، وقام المجلس بتعيين هيئة للبت في الموضوع ، وأخيراً صدر منها قرار بالموافقة على ذلك ، فارتبطت المكتبة بأوقاف المدينة المنورة . وهذا الموضوع برمته مدوّن في دفتر إبراهيم الخربوطي وبقلمه .

الهدايا المقدمة لمكتبة عارف حكمت :

كان عارف حكمت أفندي أوقف لمكتبته أثناء التأسيس بعض العقارات في إستانبول . ولم يكن يفكر بأنها [أي تلك الأوقاف] والمكتبة سوف ترتبطان بحكومات متغيرة ، وأن المكتبة سوف تحتاج إلى تحويل المبالغ المالية التي تدار إليها من الأوقاف ، وبالتالي بقاء المكتبة بدون مصدر مالي يساعدها في الاستمرار في رسالتها . ولما قطعت علاقة المكتبة بتركيا ، بقي إبراهيم الخربوطي أفندي بدون مصدر [يمول المكتبة كما كان في السابق] . فبحث عن حل يخرجه من المأزق الذي وقع فيه ، فحاول الاتصال بالهيئة المتولية ، إلا أن الحكومة التركية قد أصدرت قرارها بإغلاق هذا الباب نهائياً . وبناء على ذلك قام إبراهيم الخربوطي بالسفر إلى الهند ومعه بعض المؤلفات النادرة من المكتبة . ولم تكن الهند آنذاك قد حازت استقلالها . لكن كان لدى الشعب عاطفة دينية جياشة تجاه الحرمين الشريفين ، فاستطاع إبراهيم الخربوطي أن يحصل على هدية

للمكتبة من حاكم بوهبال ومخصصات مالية من حاكم حيدر آباد . وهناك قيودات في هذا الصدد في الدفتر المذكور . وقد استمرت تلك المخصصات المالية من عام ١٩٣٨م إلى عام ١٩٥٠م بدون انقطاع .

وضع المكتبة اليوم :

يدير المكتبة اليوم الحافظ محمود أفندي الأغنلي . وهو ابن شيخ القراء الحافظ حسن أفندي ، إمام جامع والدة السلطان في إستانبول . وقد هاجر الحافظ حسن أفندي من إستانبول إلى المدينة المنورة حيث عين مديراً للمكتبة . ثم انتقلت إدارتها بعد وفاته إلى ابنه الحافظ محمود أفندي ، بناء على صدور قرار من المحكمة بذلك .

لم يؤسس في المكتبة حتى الآن نظام "الميكروفيلم" ، إلا أن المحاولات جارية في هذا الصدد .

ويعمل في المكتبة أيضاً عبدالوهاب أفندي نائباً للمدير ، مع موظفين آخرين .

النشاط اليومي في المكتبة :

تفتح المكتبة أبوابها يومياً من الساعة الثامنة صباحاً إلى صلاة الظهر ، ومن صلاة العصر إلى صلاة المغرب ، ماعدا الجمعة ، وهو يوم العطلة الرسمية للأسبوع . وبما أن الفترة الواقعة بين الظهر وبين العصر هي وقت القيلولة فإن المكتبة مغلقة فيها . ويقوم محمود أفندي قبل ساعة من غروب الشمس يومياً بقراءة المقابلة في المكان المخصص له بالحرم النبوي الشريف .

أما القراء فيدخلون إلى المكتبة حفاة ، نظراً لعدم استخدام المنضدة فيها ، حيث يجلسون على الأرض .

ويقوم الحجاج بين فينة وأخرى بتقديم هدايا للمكتبة مثل السجاد والمراوح وغيرها . ويقدم الشاي في المكتبة مرتين في اليوم : صباحاً ، وبعد العصر . وقد خصصت الحكومة السعودية مبالغ لهذا الغرض ؛ كما أنها بدأت بالشروع في طبع بعض المخطوطات النادرة ، بل إنه يتم جلب بعض المتخصصين للبحث والتمحيص . ومع كل ذلك فلا يتجاوز عدد العاملين فيها عن اثنين أو ثلاثة ..

٢ - النص الثاني : مكتبات الحجاز / مصطفى فايدا

نشر هذا المقال في مجلة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة ، المجلد ١٧ (١٩٦٩م) . ص ص ٣٠٥ - ٣٠٨ بعنوان :

Hicaz Kütüphaneleri / Mustata Fayda .- Ankara üniversitesi İlahiyat fakültesi dergisi . Cilt . 17 (1968) . ss. 305 - 308 .

المقال يقع في أربع صفحات من القطع المتوسط ، ويتناول وضع بعض المكتبات في الحجاز عام ١٩٦٩م ، وذلك أثناء زيارة الكاتب لمكة المكرمة والمدينة المنورة في فترة البحث . وفيما يلي ترجمة كاملة للمقال :

لقد سئحت لي فرصة زيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة في العام الدراسي ١٩٦٩ - ١٩٧٠م الاطلاع عن كثب على مكتباتها ، حيث قدمت إليها لبحث الموضوعات المتعلقة ببحوث رسالتي لمرحلة الدكتوراه التي كنت أعدها آنذاك ، وأيضاً لتقوية معلوماتي في اللغة العربية .

إن الكتب الموجودة في مكتبات هذه المنطقة المقدسة التي انتشر منها نور الإسلام إلى الآفاق ، تجلب أنظار الباحثين المتخصصين في العلوم الإسلامية.

وإن المملكة العربية السعودية التي تحكم الحجاز، تعمل بدأب على ترقية التربية والتعليم في البلاد على الأصول العلمية الحديثة ، وتنشئ كذلك مكتبات على "التقنية" الجديدة في الجامعات التي افتتحت في ربوع البلاد حديثاً .

وسوف أذكر فيما يلي معلومات مختصرة عن كل مكتبة بعد ذكر بعض الخصائص المشتركة للمكتبات العامة خارج المؤسسات الحديثة :

- ١ - المكتبات العامة في مكة المكرمة والمدينة المنورة كافة تابعة لإدارة الأوقاف ، ويعود السبب في ذلك إلى أن تلك المكتبات أنشئت بأوقاف معينة .
- ٢ - تزويد المكتبات الموجودة كافة بالكتب الحديثة قليل جداً ، وليس هناك من محاولة في تنمية مجموعاتها ، بل وصل الأمر إلى أن أكثر الكتب المقررة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والموزعة على الطلاب مجاناً غير متوافرة في مكتبات المدينة المنورة ذاتها ، كما أن أكثر الكتب التي وزعتها رابطة العالم الإسلامي الموجودة في مكة المكرمة غير متوافرة في مكتبات مكة المكرمة . ويمكننا أن نمثل لذلك بمكتبة الحرم الشريف في مكة المكرمة .
- ٣ - توجد فهارس محتوى المكتبات من الكتب مسجلة في دفاتر ، حيث تم تصنيفها حسب العلوم بدءاً بالقرآن الكريم وعلومه ، وتوجد فهارس خاصة بالمخطوطات في بعض منها .
- ٤ - ليس هناك مجال للحصول على صورة "ميكروفيلمية" أو تصوير من مخطوطة موجودة في إحدى تلك المكتبات ، سوى طريق الباحث نفسه ، حيث يستعير الكتاب بعد الحصول على الإذن ثم يصوره [في الخارج] .

٥ - تصل الصحف السعودية اليومية وبعض المجلات إلى المكتبات ، غير أنها تترك [مرمية] في الدواليب ، نظراً لعدم التفكير في تنظيم قاعة خاصة بالدوريات .

٦ - ليست هناك صور "ميكروفيلمية" أو ورقية للمخطوطات .
والآن لنعطي معلومات عن كل مكتبة على حدة بعد تلك الخطوط العريضة التي ألمحنا بها عن مكتبات الحجاز . حيث سنتعرض لأربع مكتبات في المدينة المنورة واثنين في مكة المكرمة وواحدة في الطائف هي مكتبة عبدالله بن عباس [رضي الله عنهما] .

أما المكتبات الأربع الموجودة في المدينة المنورة فهي :

١ - مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت .

٢ - مكتبة المحمودية .

٣ - مكتبة الحرم [النبوي] الشريف .

٤ - المكتبة العامة .

١ - مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت : تقع مكتبة شيخ الإسلام

عارف حكمت في الجنوب الغربي من الحرم ، على بعد اثني عشر متراً من جدار الحرم القبلي تقريباً ، في يمين منزل أبي أيوب الأنصاري [رضي الله عنه] . ويعرف المكان الذي أسست عليه المكتبة بأنه لحسن بن زيد (رضي الله عنه) . وتوجد كتابة على باب المكتبة تشير إلى أنها أنشئت عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م) . والمكتبة أنشئت على مساحة ١٠×١٠م مربع ، وعليها قبة . وقد أحاطت بجدرانها دواليب من الأطراف كافة ، ولها نافذتان كبيرتان . وفي الجانب الجنوبي الملاصق بها يوجد مسكن لمديرها .

أنشأ المكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت المولود في إستانبول عام ١٢٠٠هـ (١٧٨٦م) . أبوه عصمت بك ابن رائف إسماعيل باشا : كان شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي ملماً بالعلوم الدينية . وديوانه المكتوب بثلاث لغات (التركية والعربية والفارسية) مطبوع . وله مؤلف بعنوان (مجموعة التراجم) ، غير أنه لم يكمله . كما أنه كتب ذيلاً لكشف الظنون ، اطلع على مسوداته محمد طاهر بورصالي كما ذكر في كتابه (المؤلفون العثمانيون)^(١) . وقد توفي عارف حكمت في إستانبول عام ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) . وقبره في أسكودار [إستانبول] بجوار شارع بئر نوح . وقد عينه السلطان عبدالمجيد شيخاً للإسلام عام ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) .

تحتوي مكتبة عارف حكمت على ٤٩١٣ مخطوطة ، وقد وقفت هذه المخطوطات للمكتبة بختم خاص . كما أن أكثر الكتب المطبوعة فيها مختومة بهذا الختم ، وعدد الكتب المطبوعة فيها ٢٧١٨ ، حيث وصل مجموعها مع المخطوطات ٧٣٩٣ كتاب .

وأكثر المخطوطات الموجودة في مكتبة عارف حكمت مجلدة ومحفوظة بغلاف خارجي . وتعد هذه الكتب بخطوطها ومجلداتها نموذجاً رائعاً من فنون الخط والتجليد . وفي الحقيقة فإن منشئ المكتبة قد اشترط وجود مجلد في المكتبة ضمن شروط الوقفية . وهناك بعض الأوقاف المربوطة بالمكتبة في تركيا . المكتبة تفتح أبوابها [للقراء] من صباح كل يوم إلى الظهر، ثم من العصر إلى المغرب . ولها مدير ومساعدان له وفراش .

(١) للتفصيل عن مؤلفاته الأخرى انظر : "المؤلفون العثمانيون" (باللغة التركية) : ٣٢٧/٢ .

٢ - مكتبة المحمودية : تقع هذه المكتبة في الطابق الثاني من باب أبي

بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المجاور لباب السلام . وهي تتبع مدرسة المحمودية التي أنشأها السلطان محمود الثاني عام ١٢٣٧هـ (١٨٢٢م) . وشروط وقفيتها موجودة في إدارة الأوقاف بالمدينة المنورة . وكانت المدرسة تحوي ثلاثاً وعشرين غرفة، وقاعة دراسية ومكتبة . غير أن التوسعة التي شهدها الحرم الشريف عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) أدى إلى هدم المدرسة، حيث ترك مكانها ساحة [للحرم] ، ونظراً لشروط وقفية المدرسة فقد أودعت الأموال المتجمعة في هذا الصدد في البنك . ولم تبني مدرسة جديدة .. أما المكتبة فقد تم نقلها إلى مكانها الحالي في الحرم الشريف . وهي عبارة عن غرفة كبيرة ، يتم حفظ محتواها من الكتب في الدواليب، ولها مدير ومساعدان .

وعدد مخطوطات مكتبة المحمودية ٣٢٠٠ مخطوطة ، و ٣٥١٨ كتاب مطبوع . وضمن محتوياتها المختلفة التصانيف وبخاصة المؤلفات الفقهية ولا سيما تلك المقررة في المدارس الشرعية بعض المخطوطات النادرة المهمة .

٣ - مكتبة الحرم الشريف : تقع هذه المكتبة في الطابق الثاني على

الباب المجيدي الواقع في الطرف الشمالي من الحرم الشريف . وهي تتكون من غرفتين كبيرتين ، تحفظ الكتب في الدواليب المصفوفة بمحاذاة جدرانها . وعدد الكتب فيها ما يقرب من خمسة آلاف كتاب أكثرها كتب مخطوطة ، وهي كتب دراسية في المدارس الشرعية .

٤ - المكتبة العامة : تقع هذه المكتبة المنشأة في السنوات الأخيرة في

مبنى يعود للعهد العثماني بجوار مكتبة عارف حكمت . وعدد المخطوطات

فيها قليلة جداً ، أما الكتب المطبوعة فليست هناك قاعدة معينة لتنمية مجموعاتها ، وقاعة الاطلاع العام فيها جيدة جداً ، ويعمل فيها سبعة موظفين ويرأسهم مدير .

أما مكة المكرمة ففيها مكتبتان :

١ - مكتبة الحرم الشريف .

٢ - مكتبة مكة المكرمة .

١ - مكتبة الحرم المكي : يذكر أن تاريخ إنشاء هذه المكتبة يعود إلى

القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي . وهي تقع بجوار الصفاء ، وتتكون من قاعتين للمطالعة وغرفتين لحفظ الكتب .. ويروي العاملون في المكتبة أنها تعرضت لجرف السيول مرات عديدة ، وقد نقلت إلى هذا المبنى عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٤م) ، وهي تتميز من بين مكتبات الحجاز بأنها تضم أكبر عدد من الكتب المطبوعة ، وأغلاها ، ولها قاعتان للمطالعة ، إحداها لاطلاع على الكتب ، والأخرى لاطلاع على الدوريات ، وللكتب التي تحويها المكتبة فهارس ، فهناك فهارس خاصة بالمخطوطات ، وفهارس خاصة بالمطبوعات مرتبة حسب الموضوعات ، كما أن هناك فهرساً عاماً يضم المخطوطات والمطبوعات حسب عناوين الكتب .

وتحتوي المكتبة على ٢٥٤٥ مخطوطة ، وما يقرب من خمسة آلاف كتاب مطبوع .

٢ - مكتبة مكة المكرمة : وهي مكتبة جديدة في مكة المكرمة ، أسست

في مبنى جديد في موقع المنزل الذي ولد فيه النبي ﷺ .. وقد افتتحت بمحتوى الكتب التي تم شراؤها من شخص يسمى ماجد الكردي من لدن أمانة العاصمة

المقدسة . وهذا الموقع [من المواقع التي] يريد الحجاج زيارتها والدعاء والصلاة فيها ، غير أن الفهم السائد [الصحيح] للدين يمنع من ذلك . كما يمنع دخول النساء فيها .

وتحتوي المكتبة مائتين وألف مخطوطة ، وما يقرب من سبعة آلاف كتاب مطبوع . وفهارسها مسجلة في دفاتر .

ولنذكر نبذة عن مكتبة عبدالله بن عباس [رضي الله عنهما] في الطائف:
ليست هناك مكانة تاريخية لمكتبة عبدالله بن عباس الواقعة بجانب مسجد عبدالله بن عباس . وهي تضم عدداً قليلاً من المخطوطات . أما الكتب المطبوعة فلا تتجاوز ألف مجلد . ويوجد بجوار المكتبة قبر سيدنا عبدالله بن عباس .

النص الثالث : شيخ الإسلام عارف حكمت والمكتبة التي أنشأها في المدينة المنورة / إسماعيل جراح أوغلو

نشر هذا المقال في مجلة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة في ١٩٨٨م المجلد ٣ ، ص ١١١ - ١٢٩ ، بعنوان :

Seyhulislam Arif Hikmet ve Medine-i Münevverede Kurdugu Kütüphane / Ismail Cerrahoglu .- Ankara Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi Dergisi. Cilt. 30 (1988) ss. 111 - 129 .

ويقع في ثماني عشرة صفحة من القطع المتوسط ، ويتناول ترجمة موسعة عن شيخ الإسلام عارف حكمت وجهوده الدينية والعلمية الثقافية ، ومكانته في التاريخ الإسلامي المعاصر ، وتأسيسه للمكتبة المعروفة باسمه في المدينة المنورة التي ضمت في الفترة الأخيرة لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ومحتواها

من الكتب ، ونبذة عن مديريها والعاملين فيها حسب التسلسل التاريخي ، ثم المكتبات الأخرى التي تضم مخطوطات ضمن مجموعة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة [بالمدينة المنورة] .

وفيما يلي ترجمة كاملة للمقال :

ينتسب عارف حكمت أفندي لأسرة ، عملت في مناصب مرموقة بالدولة العثمانية فترة طويلة . فهو يذكر شجرة نسبه على هذا النحو : «إبراهيم عصمت ابن الوزير الشهير رائف إسماعيل باشا ابن الوزير الشهير إبراهيم باشا الملاطياوي ابن الحاج مصطفى الحسيني الحنفي الإستانبولي» . وبذلك نستطيع توصيل نسب عارف حكمت أفندي - بالاعتماد على مراجع مختلفة - إلى [جده] إبراهيم باشا الملاطياوي الذي تربى في الإنكشارية وشارك في الحرب الإيرانية [-العثمانية] . انتقل رائف إسماعيل باشا إلى إستانبول بعد وفاة والده إبراهيم باشا [المذكور] الذي عاش في عهد محمود الأول (١٧٣٠ - ١٧٥٤م) وعثمان الثالث (١٧٧٤ - ١٧٨٩) . وقد ارتقى رائف باشا لمنصب الوزارة في عهد عبدالمجيد الأول (١٧٧٤ - ١٧٨٩م) ، غير أنه أقيل منها بسبب استقالة الصدر الأعظم خليل حامد باشا ، حيث نفي إلى قبرص ثم أعدم . فوالد عارف حكمت أفندي هو إبراهيم عصمت ، ابن هذا الوزير المقتول . وقد ارتقى إبراهيم عصمت (١٧٥١ - ١٨٠٧ م) إلى رتبة قاضي عسكر في عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧ م) . ويظهر أن الأسرة أسرة علمية أدبية أكثر من ميلها للعلوم الشرعية . ولذلك نستطيع القول : إن هذه الملكة الأدبية انتقلت إلى عارف حكمت أفندي من أسرته .

وقصة حياة عارف حكمت حسب ما جاء في مقدمة ديوانه على النحو التالي :

إنه وُلد في ليلة الأحد الخامس والعشرين من شهر المحرم عام ١٢٠١هـ (١٧٨٦م) ، وبدأ بالتحصيل العلمي في عام ١٢١١هـ (١٧٩٦م) . وقام بأداء فريضة الحج عام ١٢٢٩هـ (١٨١٤م) . وعمل قاضياً في القدس عام ١٢٣١هـ (١٨١٦م) وفي مصر في ١٢٣٦هـ (١٨٢٠م) ، وفي المدينة المنورة ١٢٣٩هـ (١٨٢٣م) . وحصل على رتبة وسام إستانبول^(١) عام ١٢٤١هـ (١٨٢٦م) ، ثم عين قاضياً على إستانبول عام ١٢٤٤هـ (١٨٢٨م) ، غير أنه اعتذر عن قبول هذا المنصب بحجة الديون والمرض وأنه ليس له منزل [قصر] يسكن فيه . وفي عام ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) سافر إلى الروملي [للإشراف] على التعداد السكاني . وفي عودته منها عام ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) عين نقيباً للأشراف^(٢) وفي عام ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م) قاضي عسكر الأناضول . وقد استقال من نقابة الأشراف عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) . ثم أصبح قاضي عسكر الروملي عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م) ، فعضو مجلس الأحكام العدلية عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) . وقد

(١) وسام إستانبول : رتبة (إدارية - علمية) كانت تمنح للقضاة الذين يستحقون الترقية . فكان لابد من حصولهم على هذه الرتبة قبل الترقية ، ثم يعينون بعد فترة . وذلك بسبب كثرة عدد القضاة المنتظرين للترقية . وكانت الأقضية التي لابد من حصول القضاة المعينين فيها على تلك الرتبة لشغل منصب القضاء فيها في الدولة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي هي : قضاء عسكر الروملي ، قضاء عسكر الأناضول ، قضاء كل من : إستانبول ، مكة المكرمة ، أدرنة ، بورصا ، المدينة المنورة ، الشام ، القدس وحلب .

٢ - أنشئت نقابة الأشراف في الدولة العثمانية عام ٨٠٢هـ (١٤٠٠م) في عهد يلدرم بايزيد ، واستمر حتى إلغاء السلطنة العثمانية (عام ١٣٤٦هـ) . وهذه النقابة كانت تشرف على الأمور المتعلقة بالسادة والأشراف . وكان يتم تعيين نقباء الأشراف في الغالب من المعزولين من قضاء إستانبول والقاضي عسكر ، ثم أصبح يعين لها بعد القرن الثامن عشر شخصيات علمية . (انظر : التشكيلات العلمية في الدولة العثمانية . لإسماعيل حقي أوزون جارشلي . ص ١٦٥ - ١١٦) .

انتدب إلى الروملي في ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) للإشراف على مدى التقيد بالتنظيمات العثمانية الجديدة . وبوفاة شيخ الإسلام مكّي زادة مصطفى عاصم أفندي في الثاني من ذي الحجة عام ١٢٦٢هـ (١٨٤٥م) عين شيخاً للإسلام ، في المرسوم الذي أصدره السلطان عبدالمجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١م) بهذه المناسبة (أي تعيينه شيخاً للإسلام) ، تحدث فيه عن فضل عارف حكمت وشخصيته الفذة، ومكانته العالية في العلم والجاه واستجماعه الخصائص كافة التي يتحلى بها الكبار . ولم يسبق أن يصدر مرسوم مماثل ، فيه هذه المزايا والأوصاف الحميدة المستخدمة في حق عارف حكمت، مما يدل دلالة واضحة على مكانته المرموقة .

وبعد أن عمل عارف حكمت أفندي سبع سنوات وستة أشهر وتسعة عشر يوماً في منصب المشيخة الإسلامية استقال منها عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) ، وتوفي في الواحد والعشرين من جمادى الأولى عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٩م) بأزمة قلبية . وقد دفن جثمانه في أسكودار في موقع بئر نوح بالقرب من الشارع .

إن عارف حكمت الذي تحدثنا عنه بشكل موجز ، سوف يكون محور بحثنا عن حياته العلمية والأدبية . وللتعرف على ذلك علينا أن نلّم بالعصر الذي عاش فيه عارف حكمت ، فقد عاش في عصر تأخر فيه الأدب الديواني إلى الحضيض ، وفي الوقت نفسه أدرك عصر التنظيمات في نهايات عمره . ولما بلغ الثالثة عشر من عمره توفي الشيخ غالب (١٧٩٩م) أقوى شخصية أدبية للأدب الديواني . وعاصر واصف الأندروني ، وفاضل ، وكجه جي زاده عزت ملا ، وعاكف باشا ، وأسعد أفندي شيخ الصحفيين [الكتبي] ، وزيور باشا، وكمال باشا ، وفهمي ، وطاهر المكتوبجي، وسامي زاده وغيرهم من

الشعراء والعلماء . ولا شك أن الجانب الأدبي في حياته يغلب على الجانب العلمي ، وقد عده عزت ملا في قصيدة كتبها له أثناء عمله قاضياً في المدينة المنورة بأنه «مأوى أفئدة أرباب [العلوم والمعارف]» ، وشبه نشره بنشر [مقامات] الحريري ، وأشعاره بأشعار شوكت البخاري ، كما امتدحه في غزلياته بمختلف المناسبات .

ولا شك أن لعارف حكمت دوراً بارزاً في ترقية العلوم والمعارف وتنظيم المدارس الدينية وإدارتها والإسهام الفعال في الإصلاحات التي بدأ بها السلطان محمود الثاني ، وافتتاح المدارس الرشيدية [المتوسطة] ، وكل ما شهدته هذا العصر من تقدم وارتقاء .

غير أن عارف حكمت لم يكن من الشخصيات التي يقبل أفكار غيره على عمى وبدون تردد ، بل كان من أوائل الذين قاوموا التقليد الغربي [التغريب] . ويمكننا فهم خصائصه الأخلاقية ومجالات اهتماماته من خلال المعاشرين له وبلاستناد إلى بعض المصادر التاريخية في هذا الصدد . فهو يشكو في أشعاره من الظلم الواقع على الشعب ، كما يوضح فيها تضجره من الإسراف والطفرة التي تدفع أركان الدولة إلى الظلم . وقد انفصل من المشيخة الإسلامية بسبب عدم قبول رشيد باشا لتبديل قانون وراثة [حكم] مصر . ويمكننا أن نتوقع أنه استقال من هذا المنصب ؛ لأنه لم يخضع لبعض رغبات رشيد باشا ، حيث اشتكى من أسلافه بالتسليم لكل ما يملئ عليهم ، ونصح أخلافه بعدم القبول لكل ما يعرض عليهم ، كما تحدث عما تعرض له من مآسي في هذا الصدد .

ويظهر لنا بشكل واضح أن كاتبنا [عارف حكمت] لم يرض من عالي ورشيد باشا ، اللذين يعدان من أوائل حركة التغريب [في الدولة العثمانية] .

فقد قال ضياء باشا في كتابه «رسائل الوراثة» (إستانبول، ص ٢٣ وما بعدها):
انتشر لدى العامة أن السبب في انفصال عارف حكمت بك من المشيخة
الإسلامية في عام السبعين الماضي (٢١ جمادى الأولى عام ١٢٧٠هـ) كان عدم
قبول الاقتراحات الخاصة بتبديل قانون الوراثة المقدمة لرشيد باشا ، الذي كان
يتمتع بأعلى منصب [في الدولة] . ونظراً لما كان بيننا من علاقات خاصة ،
فقد وجهت إليه سؤالاً سرياً في هذا الأمر، هل قدّم اقتراحاً فيه أم لا ؟ فرد
قائلاً : لست راضياً عن رشيد باشا . لكن أسلم له حنكته . هل هذا الإنسان
مجنون حتى يجسد خيلاً مستحيلاً، فيقبل بهدم أركان بناء السلطنة . لكن لا
أستطيع أن أنكر بأن هذا القول [المنتشر في أوساط الناس] ليس بصحيح ،
لكنه أخطأ .. ولا أبغض رشيد باشا لذاته ، وإنما لكونه أراد إصدار فتوى من
مقام المشيخة الإسلامية ، تساعد في النفوذ إلى ما يخص أوضاع التعليم .
وجود عارف أفندي في هذا المنصب قد يعيقه في ذلك ، بسبب كون حكمت
[عارف حكمت] صوفي المشرب وعتيق الأفكار وقد يعاند ، مما يستلزم تبديل
غيره من المفتحين به .

ولو وضع عارف حكمت قصده من قوله في بيت من أشعاره «وكان
أسلافي قد نصحوني بعدم التدخل فيما لا يخصني» لاتضح لنا سبب انفصاله
من المشيخة الإسلامية . ويتبين لنا من كلام فائق أفندي في «منظومته
للتاريخ» : إن عارف حكمت بك استقال من هذا المنصب بمحض إرادته ..
ويذكر جودت باشا في «معروضاته» أن شيخ الإسلام عارف حكمت استقال
بسبب مرضه ، حيث يقول : وإن كان عارف حكمت أحق من سلفه لهذا المنصب ،
إلا أنه نظراً لعدم ودّ عالي باشا له فلم يكن من المعقول تنصيبه .. مما يوضح

بجلاء أن عالي ورشيد باشا لم يكونا يحبّانه ، حيث كانا ينظران إليه أنه صوفي المشرب ورجعيّ العقلية ، بل إنهما كانا يتوقعان أن يكون حجر عثرة في وجه حركات التغريب التي ينوبان القيام بها .

ولذلك نرى أن عارف حكمت أفندي كان قد عارض حركة التغريب الخالية من البصيرة . والحقيقة أن المنادين بالتنظيمات قد بينوا رأيهم فيه بأنه لا يستطيع الفكك من الثقافة الشرقية ، وإنه يقرض الشعر الديواني بالعربي والفارسي والتركي ، وأنه نموذج ضعيف من ملأ [إمام .. تعبير عن العالم الديني السائد] مدني [نسبة إلى المدينة] . والواقع أن عارف حكمت بك قد هضم الثقافة التركية الإسلامية ومدنيتها ، وأنه شخصية فذة من مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية ، فهو لم يكن يعارض التجديد و[العلوم والمعارف] ، بل كان يعارض التغريب على عمى ، كما قاوم الحركات التي تنافي طبيعة [العثمانيين] ، وانفصل عن عمله كردّ فعل تجاه ذلك . فقد انضم إلى لجنة خاصة بحل مشكلات التعليم المنشأة عام ١٨٤٥م بأمر من السلطان عبدالمجيد . وقد انضم إلى اللجنة فيما بعد المؤرخ سعيد أفندي ، ومستشار الأمور الخارجية عالي أفندي ، وترجمان الديوان الأول فؤاد أفندي ، وكلهم من المؤيدين لحركات التجديد . ويظهر من هذا أن مؤلفنا كان يؤيد التجديد المعقول . فقد كتب مؤلفات باللغات التركية والفارسية والعربية . وإن كان هناك من تحدث عن أشعاره التي قرضها باللغة التركية بأنه على درجة وسطى من الجودة ، إلا أن غير القادرين على فهم أشعاره العربية والفارسية ، اعترفوا بأنهم لم يهضموها . وقد وضع مستوى أشعاره العربية شهاب الدين الألوسي في كتابه «شهيّ النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكّم» .

ويذكر المتعارفون عن عارف حكمت أنه كان حليماً كريماً ، وأنه إذا قيل كلام غليظ في مجلسه احمرّ وجهه ، وأنه كان في أكثر الليالي يدعو أحبابه إلى منزله ، فيتحدث معهم في الأمور العلمية ، ويكرمهم ، فكان ذا ملكة علمية ، عارفاً بمكانة العلماء . وقد وجه جودت باشا وحماءه ، حيث ذكر جودت باشا أنه استفاد كثيراً من مكتبته أثناء كتابته لتاريخه [الشهير المعروف بتاريخ جودت] . فقال: لما وجهت إلى كتابة التاريخ فقد فوجئت ؛ لأنني لم أكن أمتلك البحوث اللازمة [أي المادة العلمية] . فشرحت ذلك لرشيد باشا . فأخذني إلى عارف حكمت أفندي ، فسلمني مفاتيح مكتبته ، وخيّرني في الاستفادة من الكتب التي أحتاج إليها ، لكن طلب مني أن أعيدها إلى أماكنها إذا ما انتهيت منها ، فكان بالإضافة إلى أنفس الكتب فيها ، كانت فيها أيضاً المكاتبات الرسمية .

لا تذكر المراجع والبحوث التي تتحدث عن عارف حكمت أفندي أنه انتسب إلى طريقة [صوفية] . والواقع أن العصر الذي عاش فيه عارف حكمت كان العصر الذي عاشت فيه الشريعة والطرق والعلوم جنباً إلى جنب . إلا أنه امتدح في ديوانه الخواجه بهاء الدين النقشبندي وطريقته ، وذكر أن سلوك هذه الطريقة أسلم ، وأن أباه كان من منتسبي هذه الطريقة .

سبق أن ذكرنا أن عارف حكمت أفندي كان حليماً كريماً وأنه شخصية ميالة إلى الخير . وقد تحدث المؤرخ أسعد أفندي في «مذكراته» عن فضائل هذه الشخصية في صدد ذكر مولده بأنه ولد عام ١٢٠١هـ فقال : [لا يأتي مثله] في واحد ومائتين ، وإنما في كل ألف مرة . [أي يأتي مثله في كل ألف سنة مرة] . وأشار قاضي عسكر سيف الدين أفندي إلى : أن مجلس عارف حكمت كان

نموذجاً من الجنة . فكان أصحاب الكمالات يجتمعون فيه كل ليلة، وتجري فيه مباحثات علمية رائعة ، وكان يقدم للحاضرين حلويات نفيسة . وذكرت في مقال بجريدة الحوادث في ١٧ شعبان ١٢٧٥هـ بمناسبة وفاته: عالم حاز صفه الإنسان والمملك ، شخصية نادرة ، وكان كثير من الفقراء يستفيد من نعمه وإحساناته . وفاته أغرق كل الناس في الحزن .. وأثناء حديثه عن وفاته ذكر جودت باشا في «معروضاته» : كان ملماً بالعلوم العقلية والنقلية ، قادراً على الكتابة والإنشاء في ثلاث لغات ، وبشكل خاص في اللغة العربية ، كان يكتب مثل الأدباء العرب الأصلاء . وكان بالإضافة إلى الدولة العثمانية مشهوراً في إيران والهند وطوران ، وكان عارف حكمت أكثر من يمتدح في مذكرات رحال الشرق والغرب .. وضياء باشا شخصية مهمة أخرى تحدث عن عارف حكمت أفندي، وعن علمه وأدبه وخصائصه الأخلاقية بشكل مطول ، وذكر المعلم ناجي أنه لا يجد المقدرة [الأدبية] في تقويم أشعار عارف حكمت العربية .

أما مؤلفاته فيمكننا ذكرها على النحو التالي :

الديوان : ويتكون من مقدمة وثلاثة فصول بالعربية والفارسية والتركية ،

وقد طبع عام ١٢٨٣هـ .

تذكرة الشعراء : وفيها ترجمة لـ ٢١٠ شاعراً إلى عام ١٢٥٠هـ

(١٨٣٤م) ، وهي باللغة التركية .

مجموعة التراجم : مؤلف باللغة العربية ويحوي تراجم أحوال العلماء

والشعراء لمختلف العصور ، ولا يعلم مكان وجوده .

ذيل كشف الظنون : يذكر ابن الأمين محمود كمال أنه رأى هذا المؤلف

لدى إسماعيل باشا، وأن قسماً من مسوداته موجود لديه ، وقد استفاد إسماعيل

باشا من هذا الكتاب في إعداد كتابه «إيضاح المكنون في ذيل كشف الظنون» .
خلاصة المقالات في مجالس المكالمات : توجد نسخة منها في مكتبة الجامعة [أي جامعة إستانبول] تحت الرقم ٣٧٩١ . وقد جمع فيه المعاهدات التي تم تداولها في مجالس المكالمات السياسية التي عين فيها والده إبراهيم عصمت عضواً مرخصاً ، وذلك بأمر من والده .

الأحكام المرئية في الأراضي الأميرية : هذا الكتاب الذي طبع في إستانبول عام ١٢٦٧هـ (١٨٥١م) وإن كان يذكر أنه ليس لعارف حكمت أفندي، إلا أن العبارة الموجودة في نهاية الكتاب يدل على أنه من تأليف أحمد عارف حكمت بن إبراهيم عصمت الحسيني. وهو يحوي فتاوى عديدة تتعلق بالأراضي. وبما أن أكثر مؤلفات عارف حكمت أفندي العلمية مسودات ، فإن أكثر الأحكام المتعلقة فيه مأخوذة من أشعاره ^(١) .

- (١) للتفصيل عن حياة عارف حكمت أفندي ، وشخصيته العلمية والأدبية ، والمكتبة التي أنشأها انظر :
- ابن الأمين محمود كمال : شعراء الأتراك في العهد الأخير . إستانبول : ١٩٣٧م : ٦٢٠ / ٤ - ٦٣١ .
 - دائرة المعارف الإسلامية (القديمة) : ١ / ٥٦٤ - ٥٦٨ .
 - مستقيم زاده سليمان سعد الدين / دوحة المشايخ - إستانبول : دار الدعوة ص ١٢٩ .
 - السالنامة العلمية ، ١٣٣٤ (عهد السلطان عبدالمجيد) ص ٥٩٠ .
 - تاريخ لطفي : ٨ / ١٢٢ - ١٢٣ ، ١٢٧ - ١٢٠ .
 - إسماعيل باشا البغدادي / أسماء المؤلفين - إستانبول : ١٩٥١م : ١٨٨ / ١ .
 - إيضاح المكنون - إستانبول : ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) : ٣٧ / ١ .
 - أنور ضياء قارال . التاريخ العثماني : النظام الجديد وعهد التنظيمات - أنقرة ١٩٤٧م : ١٨٦ / ٥ .
 - خير الدين الزركلي / الأعلام - بيروت : ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) : ١٣٨ / ١ .
 - عمر رضا كحالة / معجم المؤلفين - دمشق : ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م) : ٢٥٧ / ١ .
 - ديوان فائق - إستانبول : ١٢٨٨هـ .
 - مصاحبات تاريخية - إستانبول : ١٣٤٠هـ .

سبق أن ذكرنا أن مؤلفنا [عارف حكمت] كان كريماً جواداً ، ولم يكن له حرص على متاع الدنيا . وكان يحرس الفقراء ، مبالاً إلي الأعمال الخيرية . وما أن انفصل عن المشيخة الإسلامية عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣م) حتى أنشأ مكتبته الوقفية في المدينة المنورة ، وقدمها خدمة لاستفادة المسلمين الذين يتوجهون إلى المدينة المنورة من بقاع المعمورة كافة . والآن سوف نتحدث عن هذه المكتبة التي أنشأها في المدينة المنورة ، ونجري مقارنة بينها وبين المكتبات الأخرى فيها ، ووضعها الذي وصلت إليه في الوقت الحاضر .

لا شك أن أهم عنصر للثقافة التركية الإسلامية وحضارتها هي المكتبات. فقد كان للمكتبات التي أنشأها العثمانيون سواء في الأناضول أو في البلاد التي افتتحوها الدور البارز في نشر الثقافة والدين والتقدم . ومما لا شك فيه أيضاً أن الفضل في بدء عصر التنوير في أوروبا يعود إلي المكتبات التي أنشأها المسلمون في الأندلس وإفريقيا الشمالية وصقلية ، وكذلك للعلماء المسلمين الموجودين فيها . ونحن الآن في هذا البحث فضلاً عن الخدمات التي قدمتها المكتبات بشكل عام سوف نركز حديثنا على المكتبة التي أنشأها عارف حكمت في المدينة المنورة بشكل خاص ، والتي مازالت تسمى باسمه إلى الآن ،

- == - أيوب صبري باشا / مرآة الحرمين ٠ - إستانبول : ١٣٠٤ هـ - ١٣٠٥ : ٨٨٨ / ٤ - ٨٩٠ .
- المعلم ناجي / الشعراء العثمانيون ٠ - إستانبول : ١٣٠٧ . ص ١٠٦ .
- محمد طاهر البرسوي / المؤلفون العثمانيون ٠ - إستانبول : ١٣٣٣ : ٣٢٧ - ٣٢٨ .
- إبراهيم أفندي الخربوطي / الدر المنتظم في مناقب عارف الحكم (مخطوطة) في مكتبة عارف حكمت تحت الرقم ٣٨٤٧ .
- شهاب الدين الألوسي / شهى النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم ٠ - دمشق : ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م) . وقد تم تحقيق هذا الكتاب من لدن الدكتور محمد عيد الخطراوي .

كما نتطرق إلى مكتبات المدارس التي أنشأها العثمانيون فيها ، وتأثيرها على الحياة الثقافية في المدينة المنورة . وهذا يعدّ نموذجاً مما قدّمه الأتراك في سبيل الله ، دون انتظار منفعة دنيوية تذكر .

ومما هو معروف لدى الناس أن المدينة المنورة كانت مأوى للنبي ﷺ والمهاجرين ، وهي أهم مدينة إسلامية بعد مكة المكرمة . فقد اكتمل فيها نزول القرآن الكريم أصدق الكتب . وتم فيها جمعه وتدوينه . وكان حفظ أول نسخة من القرآن الكريم التي أجمع عليه [الصحابة] في منزل أم المؤمنين السيدة حفصة [رضي الله عنها] . كما أن تدوين نسخ القرآن الكريم في عهد سيدنا عثمان [رضي الله عنه] من «المصحف الإمام» وحفظها ، واستنساخ النسخ الأخرى ، والأحداث التي جرت في صدد كتابة أول نسخة من القرآن الكريم ، دستور المسلمين [إلى يوم القيامة] كان كل ذلك في المدينة المنورة ، مما يوضح بجلاء أن تأسيس أول مكتبة في الإسلام بشكل عام كان في المدينة المنورة . ومما ينبغي ألا ننسى أن جمع الأحاديث النبوية وتدوينها بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز [رضي الله عنه] إلى والي المدينة المنورة أبي بكر بن حزم الأنصاري قد بدأ في هذه المدينة أيضاً . ومع أن المدينة المنورة كانت في البداية مركز مدارس التفسير والحديث والفقه ، إلا أنها في العصور التالية أصبحت تضم قبر النبي ﷺ ومسجده . مما أضفى عليها طابع القدسية . ومن الأشياء التي لا يعرف سببها عدم إنشاء المدارس والمكتبات الكبيرة في هذه المدينة المنورة ، شأن غيرها من حواضر العالم الإسلامي .

والباحث المدقق لتاريخ المدينة المنورة سوف يرى أن أكثر من اهتم بها من الناحية الثقافية العثمانيون . فقد كان للمدارس والزوايا والمكتبات التي

أنشأوها مكانة كبيرة . ونحن بدورنا سوف نركز على هذه الناحية بشكل عام ، ونوضح أهمية مكتبة عارف حكمت للمدينة المنورة ، كما نعرف بالمكتبات الأخرى فيها .

مما لا شك فيه أن أهم أثر لشيخ الإسلام عارف حكمت هو مكتبته التي أنشأها ، والتي تقع في زاوية الشرق من جهة القبلة للمسجد النبوي اليوم . وفي خلال زيارتي للمدينة المنورة عام ١٩٨٦م ظهر أنه لم يبق - بسبب توسعة الحرم - ، أي مبنى [حول الحرم النبوي الشريف] في جهة القبلة منها ، ماعدا مكتبة عارف حكمت أفندي ومكتبة المدينة المنورة ومبنى المحكمة الشرعية . وأتوقع أن هذه المباني أيضاً سوف تزال في القريب [بسبب توسعة ساحة الحرم] ومكتبة عارف حكمت هي مدار افتخار المدينة المنورة منذ إنشائها ، كما أنها من أهم المراكز الثقافية العلمية ، حيث توجد فيها كثير من المخطوطات النادرة التي تضم مختلف العلوم والمعارف . وبشكل خاص فإن عدد الكتب والمجلات [الظاهر أنها مجموعات ، بمعنى المعارف العامة] الثقافية الإسلامية المكتوبة باللغات التركية والعربية والفارسية يتجاوز الخمسة آلاف كتاب . وبناء على المعلومات التي ذكرها الدكتور محمد العيد الخطراوي الذي حقق كتاب « شهى النغم » فإن عدد الكتب المطبوعة فيها ٢٠٠٨ ، والمخطوطات ٤٧١٨ مخطوطة . والواقع أن المعلومات التي استقينها من المكتبة مباشرة تشير إلى وجود ٤٣٧٣ كتاب . والكتب التي تحويها المكتبة، تم تصنيفها حسب الموضوعات التالية :

١ - المصاحف المخطوطة ١ - ٣٢ .

٢ - التجويد والقراءات ٣٣ - ٩٢ .

٣ - علم التفسير ٩٣ - ٢٦٦ .

- ٤ - علم أصول الحديث ٢٦٧ - ٣٤٩ .
- ٥ - علم الحديث ٣٥٠ - ٥٤٨ .
- ٦ - علم العقائد ٥٤٩ - ٨٣٣ .
- ٧ - سيرة النبي ﷺ ٨٣٤ - ١٠٠٣ .
- ٨ - القصائد الخاصة بالنبي ﷺ ١٠٠٤ - ١٠٥٩ .
- ٩ - علم أصول الفقه ١٠٦٠ - ١١١٦ .
- ١٠ - الفقه الحنفي ١١١٧ - ١٤١٣ .
- ١١ - الفقه المالكي ١٤١٤ - ١٤٢٠ .
- ١٢ - الفقه الشافعي ١٤٢١ - ١٤٣٩ .
- ١٣ - الفقه الحنبلي ١٤٤٠ - ١٤٤٣ .
- ١٤ - الفتاوى ١٤٤٤ - ١٥٤٧ .
- ١٥ - علم الفرائض ١٥٤٨ - ١٥٧٢ .
- ١٦ - علم التصوف (بالعربية) ١٥٧٣ - ١٦٦٦ .
- ١٧ - علم التصوف (بالفارسية) ١٦٦٧ - ١٧٢١ .
- ١٨ - علم التصوف (بالتركية) ١٧٢٢ - ١٧٤٦ .
- ١٩ - الأدعية والأذكار ١٧٤٧ - ١٨٨٩ .
- ٢٠ - علم الحروف والأسماء ١٨٩٠ - ١٩١٦ .
- ٢١ - علم الوعظ والإرشاد ١٩١٧ - ٢١٠٠ .
- ٢٢ - علم الحكمة والفلسفة ٢١٠١ - ٢١٤٥ .
- ٢٣ - علم المنطق ٢١٤٦ - ٢٢٤٦ .
- ٢٤ - علم البحث والمناظرة ٢٢٤٧ - ٢٢٩٧ .

- ٢٥- علم اللغات ٢٢٩٨ - ٢٤٢٥ .
- ٢٦- علم الصرف ٢٤٢٦ - ٢٤٨٣ .
- ٢٧- علم النحو ٢٤٨٤ - ٢٦٨٥ .
- ٢٨- علم البلاغة ٢٦٨٦ - ٢٨١٣ .
- ٢٩- علم العروض والقافية ٢٨١٤ - ٢٨٣٤ .
- ٣- علم الحساب ٢٨٣٥ - ٢٨٦١ .
- ٣١- علم الجبر والمقابلة ٢٨٦٢ - ٢٨٦٧ .
- ٣٢- علم الهندسة ٢٨٦٨ - ٢٨٧٩ .
- ٣٣- علم الكيمياء ٢٨٨٠ - ٢٨٨٣ .
- ٣٤- علم الطب ٢٨٨٤ - ٢٩١٨ .
- ٣٥- علم الهيئة والفلك ٢٩١٩ - ٢٩٣٣ .
- ٣٦- علم الميقات ٢٩٣٤ - ٢٩٦٥ .
- ٣٧- علم التعليمات [الفنون] العسكرية ٢٩٦٦ - ٢٩٨٧ .
- ٣٨- علم الكتابة والمخاطبة . ٢٩٨٨ - ٣٠٢٨ .
- ٣٩- علم الأدب العربي ٣٠٢٩ - ٣٢٨٧ .
- ٤٠- علم الأدب الإيراني ٣٢٨٨ - ٣٤٧٩ .
- ٤١- علم الأدب التركي ٣٤٨٠ - ٣٧٤٦ .
- ٤٢- علم التاريخ العربي ٣٧٤٧ - ٤٠١٢ .
- ٤٣- علم التاريخ التركي ٤٠١٣ - ٤٢٣١ .
- ٤٤- علم التاريخ الإيراني ٤٢٣٢ - ٤٣٤٦ .
- ٤٥- علم الجغرافيا ٤٣٤٧ - ٤٣٥٨ .

- ٤٦- علم الزراعة ٤٣٥٨ .
- ٤٧- علم ليتوغرافيا [الطباعة الحجرية] ٤٣٦٠ .
- ٤٨- علم تعبير الرؤيا ٤٣٦١ - ٤٣٦٤ .
- ٤٩- علم الخط والرسم ٤٣٦٥ - ٤٣٧٣ .
- لقد أنشأ عارف حكمت أفندي هذه المكتبة في عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) وهو العام الذي استقال فيه من المشيخة الإسلامية، ووقف عليها أكثر من خمسة آلاف كتاب . حيث جلب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي أندر الكتب وأنفسها، وبشكل خاص ما كان تمتاز بخطوطها الرائعة وقيمتها الفنية العالية، وأرسلها إلى المدينة المنورة . وحسب ما وضحها ابن الأمين محمود كمال في كتابه «الشعراء الأتراك في العهد الأخير» أن الكتب التي أرسلها شيخ الإسلام عارف حكمت إلى المدينة المنورة لم تكن تلك الكتب النادرة والقيمة الموجودة في مكتبته الخاصة ، وإنما اشتراها من الخارج . أما الكتب النادرة والقيمة [الموجودة في مكتبته] فقد انتقلت إلى ابن أخيه [أو أخته] عزت بك، حيث عرضها [للبيع] في مزاد أقيم لهذا الأمر ، وإني [أي ابن الأمين محمود كمال] وبخت نفسي لعدم اشتراكي في تلك المزايدة ، وبالتالي عدم امتلاكي لتلك الكتب ^(١) . ويظهر من هذا الكلام أن تلك الكتب التي أرسلها عارف حكمت أفندي إلى المدينة المنورة كانت كتباً عامة في الثقافة الإسلامية ، وأخرى خاصة تحوي مختلف العلوم والمعارف . وأن كتبه الخاصة به [أي مكتبته الخاصة في منزله] ، وأشعاره وكتابات الخاصة بعمله الحكومي - التي تعدّ وثائق - بقيت في إستانبول .

(١) الشعراء الأتراك في العصر الأخير . إستانبول : ١٩٣٧ : ٦٢٨/٤ .

يتحدث عن قيمة هذه المكتبة الدكتور محمد العيد الخطراوي الذي نشر كتاب «شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف» للألوسي، فيقول : لقد بذل شيخ الإسلام جهداً مضمناً وصرف أموالاً كثيرة لإنشاء مكتبته وشراء الكتب لها . فقد جمع فيها من أنحاء العالم من الكتب من حيث القيمة أندرها ، ومن حيث الخط أنفسها ، ومن حيث المكانة والقيمة العلمية أعلاها ، ومن حيث السعر أغلاها . وقد سجل على مخطوطة أن قيمتها [من حيث السعر] ٤٠٠ ليرة ذهبية عثمانية . وكان قد جمع فيها أشهر آثار الخطاطين ، كما أن فيها من الكتب ما كتبها بخط يده .

وقد ذكر صاحب « الرحلة الحجازية » محمد لبيب البتنوني (ت ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) أن في المكتبة ما يحير الإنسان من المخطوطات ، فقال: لقد وجدت فيها من الفنون النادرة شيئاً غريباً ، فقد كان فيها كتاب يحوي الشعر الفارسي . حيث كُتب للملا شاهی بخط أبيض . وكان ما حيرنا فيه جودة الخط والفن ونظافة [الورق] ، والتنظيم الدقيق للحروف مع صغرها ، وإن اللسان لتعجز عن سرد أوصافها^(١) .

ولقيام المكتبة بأداء دورها بشكل مستمر والصرف على موظفيها ، فقد وقف عارف حكمت بك المنازل والدكاكين والخانات [الفنادق] والبساتين وسائر الأشياء الأخرى وقفاً ثابتاً دائماً . حيث ذكر شيخ الإسلام في صك وقفيته الذي أعده في هذا الصدد أنه « لقد وقفت وقفاً صحيحاً ثابتاً ١٦ مصحفاً و ٥٠٠٠ كتاب نفيس ... وخاناً فيه أربع غرف ، واسطبلأ كبيراً ، وفرناً ،

(١) الرحلة الحجازية . عمان : ١٩٧٤م . ص ٢٥٥ .

ودُكَّاناً واحداً للبقالة ، ودكاناً واحداً للحلاقة ، "والصندرمة" [وهي أرض تؤجر لاستخدامها كمستودع أو مشى] ، ووقفت جملة أبنية مصنع وفرن كبير ، وبئر ماء وسائر المشتملات المعلومة المتصلة للخان . ووقفت قطعة واحدة بستان كبير مع أشجاره المنتشرة ومع آباره . ووقفت حماماً ومعه ثمانية دكاكين ذات قبة . ومن هذه الدكاكين دكان للخضروات ، ودكان للقصاب [جزار] ودكان للبقالة ودكاكين للعطارة، وأربعة دكان [لأشياء] أخرى» (١) .

وكانت تلك الأملاك الموقوفة كلها في إستانبول ، ومساحتها ٥٥٥٩ ذراع مربع . وكان إيرادها السنوي لا يقل عن خمسة عشر ألف ليرة ذهبية عثمانية . وكانت تلك الإيرادات تصل إلى المكتبة بصورة منتظمة خلال فترة الحكم العثماني ، أما بعد ذلك فقد توقفت ، ولا نعلم [الكلام هنا لمحمد العيد الخطراوي] سبب هذا التوقف .

ويذكر المحقق [أي الخطراوي] نفسه أنه [أي عارف حكمت] وقف في المدينة المنورة أيضاً خمسة منازل لتلك المكتبة . ومع أن أكثرها قد ضاعت في وقتنا الحاضر ، إلا أنه يحاول التحقق من أماكنها وموقعها (٢) .

ونظراً لتوقف إيرادات الأوقاف من إستانبول وتناقص إيرادات المدينة المنورة فقد استمر بعض الموظفين في أعمالهم مجاناً . ثم ألحقت هذه المكتبة عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) بإدارة الأوقاف في المدينة المنورة ، وقامت وكالة الحج والأوقاف بالصرف عليها .

(١) قارن بينها وبين ما ورد في الوقف وبنية المكتبة العربية للدكتور يحيى محمود بن جنيد (ساعاتي) .

الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٨هـ ، ص ٥٤ (سهيل صابان) .

(٢) د . محمد عيد الخطراوي / عارف حكمت : حياته ومؤثره . ص ٣٣ .

ومن الشروط التي اشترطها منشئ المكتبة [عارف حكمت] في كيفية الاستفادة منها ، وماهية عمل الموظفين ووضع المرتادين فيها :

- ١ - عدم إخراج المصاحف الشريفة والكتب الأخرى من المكتبة ، سواء للنسخ أو الإعارة أو عن طريق الإجارة ، ونطاق الاستفادة منها داخل المكتبة فحسب .
- ٢ - عدم ممانعة أحد - من كان - من الاستفادة من المكتبة .
- ٣ - عدم إظهار حفظة الكتب العاملين في المكتبة عجزهم أو تعبهم للقراء مهما كانت ظروفهم . بل عليهم تشجيع القراء وترغيبهم [على القراءة] .
- ٤ - تعيين أربعة من العلماء الصالحين الذين يتصفون بصفات حميدة لحفظ الكتب ، باعتبار الأول والثاني والثالث والرابع .
- ٥ - تفتح المكتبة بعد شروق الشمس بساعة واحدة وتغلق قبل غروبها بساعة واحدة . وتبقى المكتبة في الساعات المذكورة مفتوحة حتى وإن لم يراجعها أحد .
- ٦ - ينبغي على الحفظة [أمناء المكتبة] إظهار الاهتمام اللازم بالكتب . وأثناء قيامهم بالعمل يقومون بالتناوب بحيث يداوم الأول والثالث في يوم والثاني والرابع في اليوم التالي .
- ٧ - يجتمع الحفظة الأربعة في الصباح أثناء افتتاح المكتبة لقراءة جزأين من القرآن الكريم ، بحيث يختمون القرآن مرة كل خمسة عشر يوماً . ويجعلون ثواب ما قرأوه لروح النبي ﷺ وواقفي المصاحف .
- ٨ - يدفع لحفظة الكتب من إيرادات الأوقاف راتب شهري: للأول عشرة ، وللثاني ثمانية ، وللثالث سبعة ، وللرابع ستة فرنكات فرنسية . ويدفع لهم - إضافة إلى ذلك - مبالغ للقراءة وتنظيف الكتب من الغبار

وحمايتها من الرطوبة . كما يدفع لكل واحد منهم اثناء عشر ريالاً نقداً في شهر رمضان من كل سنة .

٩ - ولا يدفع شيء مما ذكر من لم يراع الشروط المذكورة بعاليه في المكتبة . وتمنح الوظائف لأناس أمناء وموثوقين . ويستخدم الخدمَة [الفراشين] من الرجال لخدمات الكتب وصيانتها . ولا تعطى الوظيفة للأطفال والمراهقين . كما لا تمنح الوظيفة للصغار والمراهقين أو المختلين عقلياً إذا ما توفي آباؤهم من أحد أمناء المكتبة .

١٠ - يعين بواب للمكتبة ومستخدم للنظافة وساق من الرجال المستعدين للعمل والقادرين عليه ، ويدفع لكل واحد منهم راتب شهري بمبلغ أربعة ريالات .

١١ - يعدّ التقيد بتلك الشروط وتنفيذها وصيانة المكتبة وحمايتها في جوانبها كافة من وظيفة مدير المكتبة .

١٢ - إذا رأت الهيئة المتولية ترميم المكتبة وتجديدها يتم ذلك من واردات الوقف .

١٣ - يقوم قاضي المدينة المنورة كل ثلاث سنوات في شهر المحرم بجمع موظفي المكتبة العاملين فيها كافة وجرّد الكتب واحداً واحداً وأمامهم .

١٤ - يتم تجديد وترميم الكتب والمجلدات التي تقادمت ، من واردات الوقف .

١٥ - يعد عارف حكمت متولياً [على المكتبة] في حياته .. ثم [بعد وفاته] يقوم حاكم [صاحب] الوقف باختيار رجل صالح من صلحاء المسلمين ويعينه متولياً عليه .

ولقد قامت الدولة العثمانية بعد وفاة عارف حكمت بك بتطبيق شروط الوقف وعينت أناساً أمناء للهيئة المتولية [على شؤونها] . وكان منهم مفتي إستانبول الشيخ نوري أفندي التركي . وفي عهد الأشراف عين عبدالقادر

حواري متولياً على المكتبة ، حيث عمل حتى العهد السعودي الأول . ثم لما ألحقت مكتبات المدينة كلها بوكالة الحج والأوقاف ، كانت هذه المكتبة أيضاً من ضمنها ، وكذلك في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) . وقد استمرت المكتبة بشكل مستقل في تقديم خدماتها في المبنى المؤسس من لدن صاحبها إلى يومنا هذا . أما اليوم (١٩٨٧م) وقد أزيلت المباني المجاورة للحرم النبوي كافة ، فإن بقاء المكتبة في مكانها لتقدم الخدمات مستبعد .

وقد شغل منصب إدارة هذه المكتبة في العهد السعودي الأشخاص التالية:

- ١ - إبراهيم الخربوطي ، إلى عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)
- ٢ - حسن الأغنلي ، إلى عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) .
- ٣ - محمود حسن الأغنلي ، إلى عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) .
- ٤ - علي علوي إبراهيم (كوروجي) ، إلى ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) .
- ٥ - عبدالصمد محمد جان ، الذي مازال أميناً على المكتبة .

وتوجد على الكتب أختام ثلاثة بمختلف اللغات والتواريخ فتوجد على الختم الدائري عبارة : مما وقفه العبد الفقير إلى ربه أحمد عارف حكمت الله بن عصمة الله الحسيني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بشرط أن لا يخرج من خزانته ، والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٦ هـ [١٨٤٩م] .

وهناك ختم آخر على بعض الكتب ومحتواه : وقف من لدن حكمة الله بن عصمة الله الحسيني ١٢٦٧هـ [١٨٥٠م] .

أما النوع الثالث من الختم في اللغة التركية على هذا النحو : ملحق بوقف مكتبة المغفور له شيخ الإسلام عارف حكمت بك ١٣٣٢هـ [١٩١٣م] .

فالختم الأول هو ختم صاحب المكتبة أثناء تأسيسها . والختم الثاني مما ألحقت بها من الكتب فيما بعد . أما الختم الثالث وكما يتضح من العبارة فإنها من عمل أمناء المكتبة .

وقد أثبت الدكتور محمد عيد الخطراوي الذي حقق كتاب « شهى النغم... » سرقة بعض كتب المكتبة ، حيث يقول في هذا الصدد : (١) .

١ - مصحف مكتوب على رق نعام بخط أندلسي ، مذهب في آخره ، وهو بخط عبدالرحمن بن علي مرزوق بن محمد بن مكناس البطليوسي سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) .

٢ - مسند أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ، وهو الآن في مكتبة المتحف البريطاني .

٣ - أمر شريف باشا بنقل ثلاثين كتاباً من المكتبة ، ويذكر أمام أسماء هذه الكتب في القوائم إشارة (م) التي تعني أنه مفقود ، وهذه المجموعة لا تزال محفوظة في إستانبول .

٤ - كتاب في تاريخ المغرب يقع في عشرة مجلدات ، ويظن أنه كتاب « الاستقصاء » .

٥ - استطاع أحد الأشخاص من استنساخ مخطوط داخل المكتبة ، ثم ختم منسوخه بخاتم المكتبة وسرق الأصل .

٦ - بيعت مجموعة كبيرة من المخطوطات في عهد بعض الأمناء الذين ضعفت نفوسهم عن القيام بواجب الأمانة .

(١) تمت الاستفادة من ترجمة هذا النص من كتاب : الوقف وبنية المكتبة العربية لسعادة أستاذنا الدكتور يحيى ساعاتي (سهيل صابان) .

إن هذه المكتبة جلبت أنظار باحثي مختلف التخصصات . وقد تحدث عنها بعض المؤرخين في رحلاتهم . منهم :

١ - علي بن موسى (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م) في كتابه «وصف المدينة المنورة» ، حيث نشره حمد الجاسر . فقد ذكر في الصفحة الرابعة عشرة أن لشيخ الإسلام عارف حكمت مكتبة كبيرة قبالة منزل نائب [شيخ] الحرم . وفيها من الكتب النفيسة ما لا توجد في غيرها . ويعمل فيها موظفون برواتب شهرية تدفع لهم من واردات وقف المكتبة في إستانبول . ولا تماثلها مكتبة أخرى في الحجاز من حيث نفاسة مخطوطاتها وموظفيها الدائمين ومستخدميها . وأثناء حديثه عن مكتبات المدينة المنورة يذكر : أن مكتبة المغفور له شيخ الإسلام عارف حكمت بك الواقعة قبالة منزل نائب الحرم أكبر مكتبات المدينة المنورة وأجلّها .

٢ - محمد ليبب البتنوني (ت ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م) في كتابه «الرحلة الحجازية» حيث يذكر في الصفحة الرابعة عشرة أن مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة دليل وحجة من حيث النظافة وتنظيم الكتب وترتيبها .

٣ - محمد كرد علي (ت ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م) في مقال له بمجلة المقتبس [التي كان يصدرها] (س ١٣٣٠هـ ، ص ٧٦٣) عن رحلته إلى المدينة المنورة ، حيث يقول : أجمل مكتبات المدينة المنورة هي مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت ، وهي بلا شك أروع المكتبات الموجودة بالبلاد العثمانية من حيث التنظيم والتنظيف . وبها أكثر من عشرة آلاف مخطوطة بخط الخطاطين المشهورين . وقد وفرت سبل الراحة كافة لمن يريد الاطلاع فيها . وفي يومنا هذا لا يمكن أن نجد تلك الراحة في المكتبة الخديوية بمصر .

٤ - عبدالرزاق البيطار (ت ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م) في كتابه « حلية البشر » ، فقد قال فيه : لقد زرت هذه المكتبة بعد الحرب الواقعة بين الأتراك وبين الأشراف، كما زرت مكتبة الطائف . ووجدنا أن أكثر مقتنياتها قد نهبت .

٥ - فؤاد حمزة (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) في كتابه «البلاد العربية السعودية» ، إذ يقول في الصفحة ٢٣٢ : أخذت منها [كتب] لم تكن قليلة بالمقارنة بالعهد العثماني .

٦ - علي حافظ - من المؤرخين المعاصرين - في كتابه «فصول من تاريخ المدينة» في الصفحة ٢٤١ ، حيث ذكر : أن مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت أسست عام ١٢٧٠هـ ، وهي تقع في زاوية الجنوب الشرقي من المسجد النبوي . وبينهما طريق ، وفيها [أي المكتبة] كتب نادرة .

وقد اقتبس محمد العيد الخطراوي محقق كتاب « شهى النغم ... » كلاماً عن ابن كثير من كتابه «الفصول في سيرة الرسول» (وقد طبع عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) في الصفحة العاشرة : لقد نقل العثمانيون في أواخر عهدهم بالحجاز عام ١٣٣٤هـ بعض الأشياء النادرة من الحجرة النبوية إلى إستانبول . ونقلوا مكتبة عارف حكمت إلى الشام أولاً ، ومنها كانوا يودّون نقلها إلى إستانبول . ولما أغلقت الطرق أمام القوات العثمانية بسبب الحرب العالمية الأولى فقد بقيت الكتب في الشام . ثم أعيدت تلك الكتب إلى المدينة المنورة عام ١٣٣٧هـ . خلال السنوات الثلاث بقيت الكتب في تكية السلطان سليم بالشام . ونظراً لجرف سيول مياه بردة القريبة من التكية وتأثير الشتاء فقد وصلت المياه إلى صناديق الكتب . والسبب في انحاء سطور بعض المخطوطات واختلاط الحبر في بعضها الأخرى وتغيير لون الأوراق يعود إلى ذلك .

وقد أخذت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) صورة تلك الكتب، مما أدى إلى توفيرها في يد الباحثين . وما زالت الكتب النادرة تحتفظ بها في المكتبة . رحم الله من وقفه، ويسر الاستفادة من تلك المؤلفات^(١) .

ومع أن السعوديين يولون الاهتمام اللازم بالمدينة المنورة ، عليهم أيضاً أن يضعوا نصب أعينهم التراث الثقافي والحضاري الذي يمتد لألف وأربعمئة عام فتركوا المهم منه على طرازه القديم . ومع هذا وذاك فإن الحكومة السعودية قامت بجهد كبير لا يمكن أن يقلل من شأنه ، سواء في إعمار المدينة المنورة أو توسعة المسجد النبوي الشريف . ومما ينبغي أن يكتب لها بمداد من الذهب ما قامت به من إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، المحتوية على كليات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وبها [أي الجامعة] المكتبات التي تحوي المخطوطات والمصغرات الفلمية ، وأكثر من هذا وذاك إنشاءها لمطبعة المصحف الشريف التي تخدم العالم الإسلامي بأجمعه . ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة المنشأة عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م القريبة من المسجد النبوي الشريف المبنية على أحدث طراز معماري والتي تحوي نظام التبريد العصري ، لتليق بمدينة الرسول ﷺ . وبالإضافة إلى تنمية مجموعاتها من الكتب المطبوعة ، فإنها المكان الملائم للمخطوطات وحفظها من الضياع . ومكتبات المدينة القديمة التي تحويها مكتبة الملك عبدالعزيز العام هي :

١ - مكتبة المحمودية : وهذه المكتبة انشئت من لدن السلطان محمود الثاني بالقرب من المسجد النبوي في جهة باب السلام . وقد نقلت إلى مسجد

أبي بكر رضي الله عنه ثم إلى المسجد النبوي الشريف إلا أنه نقلت مخطوطاتها فيما بعد إلى مكتبة الملك عبدالعزيز العامة . ويظهر لنا من فهرس مخطوطات هذه المكتبة الموجودة اليوم ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة أن تصنيفها على النحو الآتي :

- ١ - القراءات والتجويد ، ١ - ٣٥٠ .
- ٢ - أصول الحديث ، ٣٥١ - ٣٩٥ .
- ٣ - الحديث ، ٣٩٦ - ٨٧٢ .
- ٤ - أصول الفقه ، ٨٧٣ - ٩٤٣ .
- ٥ - الفقه الحنفي ، ٩٤٤ - ١٣١٤ .
- ٦ - الفقه المالكي ، ١٣١٥ - ١٣٤٧ .
- ٧ - الفقه الحنبلي ، ١٣٩٣ - ١٤٨٥ .
- ٩ - التصوف ، ١٤٨٦ - ١٦٩١ .
- ١٠ - الوعظ والإرشاد ، ١٦٩٢ - ١٨٣٣ .
- ١١ - العقائد ، ١٨٣٤ - ١٩٤٣ .
- ١٢ - السيرة النبوية ، ١٩٤٤ - ٢٠٧٦ .
- ١٣ - اللغة [العربية] والصرف والنحو والبلاغة ، ٢٠٧٧ - ٢٣٥٣ .
- ١٤ - اللغات والآدب ، ٢٣٥٤ - ٢٣٨٧ .
- ١٥ - المنطق ، ٢٣٨٨ - ٢٤٧٣ .
- ١٦ - الحساب ، ٢٤٧٤ - ٢٤٨٥ .
- ١٧ - الطب ، ٢٤٨٦ - ٢٥١٧ .

١٨ - التاريخ ٢٥١٨ - ٢٥٨١ .

١٩ - المجموعات ، ٢٥٨٢ - ٣٣١٤ .

ويتضح من هذا أن عدد الكتب في المكتبة ٣٣١٤ كتاب . ويذكر أيوب صبري باشا في كتابه «مرأة الحرمين» : أن عدد الكتب فيها ٤٥٦٩ كتاب والفرق بين هذا العدد وما هو موجود في المكتبة اليوم ١٢٥٥ كتاب . فهذه الكتب إما فقدت ، أو أن أيوب صبري باشا لم يفرق بين الكتب المخطوطة والمطبوعة فذكر العدد المشار إليه .

أما المكتبات الأخرى التي تحوي كتباً مخطوطة ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة فهي :

٢ - [مكتبة] إبراهيم سعد الله الحنفي ، ١ - ٥٢ .

٣ - المكتبة القازانية ، ٥٣ - ٢٠٣ .

٤ - المخطوطات الواردة من مكتبة المدينة المنورة ٢٠٤ - ٣٨١ .

٥ - مكتبة العرفانية ، ٣٨٢ - ٤٦٥ .

٦ - مكتبة الجبرتي ، ٤٦٦ - ٤٩٠ .

٧ - المكتبة الإحسانية ٤٩١ - ٦٠٤ .

٨ - مكتبة ساقزلي ، ٦٠٥ - ١١٣٥ ، وقد ذكر صاحب مرآة الحرمين

أن هذه المكتبة كانت ضمن المدرسة التي أنشأها باسمه ساقزلي مصطفى أفندي ، وكانت تحوي ٥٩٣ كتاب .

٩ - مكتبة الصافي ، ١١٣٦ - ١١٣٧ .

١٠ - مكتبة الشفاء ، ١١٣٨ - ٢٣١٨ ، وقد ذكر أيوب صبري باشا

أن هذه المكتبة أنشئت من لدن شيخ الإسلام فيض الله أفندي ، وأنها كانت ضمن مدرسة الشفاء ، وكانت تحوي ١٢٤٦ كتاب .

١١- مكتبة الشيخ عمر حمدان ، ٢٣١٩ - ٢٤٤٩ .

١٢- مكتبة مدرسة كيللي ناظر ، ٢٤٥٠ - ٢٦٤١ ، وقد ذكر في «مرآة الحرمين» (٤/ ٨٩٠) أن هذه المكتبة كانت ضمن مدرسة كيللي ناظر ، وأن عدد الكتب فيها كانت ١٥٧ .

١٣- مكتبة مدرسة قاراباش ، ٢٦٤٢ - ٣٤٦١ ، كانت هذه المدرسة موجودة حتى عام [١٤٠٥هـ] ١٩٨٥م . وكانت المكتبة ضمن المدرسة التي أنشأها قاراباش عمر أفندي - من الموالى الكرام - . وحسب ما يذكره أيوب صبري باشا كان فيها ١٢٦٩ كتاب .

١٤- مكتبة رباط سيدنا عثمان [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ، ٣٤٦٢ - ٤٢١٩

إن تلك المكتبات الأربع عشرة المذكورة توجد اليوم ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة . ويذكر صاحب مرآة الحرمين اسم ثماني عشرة مكتبة . وبما أن بعضاً منها قد ذكرناها فيما سبق ، فلا حاجة إلى تكرارها ثانية أما الأخرى فهي :

١ - مكتبة شيخ الحرم أمين باشا : وكانت تحوي ١٥٨ كتاب .

٢ - مكتبة بشير آغا : وهي ضمن المدرسة التي أنشأها آغا دار

السعادة بشير آغا ، التي تم بناؤها مجدداً . وفيها ٢٠٦٣ كتاب .

٣ - المكتبة الحميدية : وهي ضمن مدرسة الحميدية ، وفيها ١٦٥٩ كتاب .

٤ - مكتبة جمال الليل : وكانت في منزل المغفور له السيد جمال الليل

- . ويذكر أيوب صبري باشا أنه لم يُفحص محتوى المكتبة .
- ٥ - مكتبة البساطي : وهي مكتبة المغفور له أحمد البساطي ، وهو من أهالي المدينة المنورة وكان إمام وخطيب الحرم الشريف .
- ٦ - مكتبة الشيخ عبد الغفور : نسبة لاسم واقفها عبدالغفور أفندي البخاري ، من مجاوري الحرم . وكان بها ١٢٩ كتاب .
- ٧ - مكتبة مظهر أفندي : وكانت من مآثر الشيخ مظهر ، من أحفاد الإمام الرباني ، وهي ضمن التكية التي تسمت باسمه . وفيها ١١٠٠ كتاب .
- ٨ - مكتبة حسين آغا : وهي من وقف ناظر تكية مصر حسين آغا ، وهي ضمن المدرسة التي تسمت باسمه ، وفيها ١٠٠ كتاب .
- ٩ - مكتبة الفنايرجي : وهي للمغفور له أمين أفندي ، من مجاوري الحرم الشريف وفيها ١٥٠ كتاب .
- ١٠ - مكتبة ثروت أفندي : وهي وقف ثروت أفندي من قدماء المجاورين ، وفيها ٢٠٦ كتاب .
- ١١ - مكتبة سليم بك : وهي وقف سليم بك ، من المقربين للسلطان عبد المجيد . ويذكر أن بها ٥٠٠ كتاب .
- وإضافة إلى هذه المكتبات التي ذكرها أيوب صبري باشا ، فقد أفاد أن كل مدرسة كانت تحوي مكتبة . غير أن قلة الكتب فيها صرفته عن ذكر أسمائها .
- ونظراً لوجود مشروع توسعة الحرم المدني اليوم ، فإن كثيراً من المدارس والتكايا المذكورة والمحيطه بالحرم قد أزيلت . ومع أن الكتب الموجودة في تلك

المكتبات قد تم نقلها إلى مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بغية الحفاظ عليها ، إلا أن هناك كثيراً من المكتبات التي لا نعلم شيئاً عن مقتنياتها . فعدد الكتب التي ذكرها أيوب صبري باشا في المكتبات الثمانية عشرة المذكورة كان ٢٢٦١٥ كتاب . ويوجد اليوم بمكتبة الملك عبدالعزيز العامة مع مكتبة المحمودية ٧٥٣٣ ، وفي مكتبة عارف حكمت ٤٣٧٣ ، وفي مدرسة آغا ٢٠٦٣ ، ويصبح المجموع ١٣٩٦٩ كتاب . وبالمقارنة مع ما ذكره أيوب صبري باشا يظهر فقدت ٨٦٧٦ كتاب . ولعل السبب في هذا النقص إما لعدم ذكر الكتب المطبوعة ، أو أنها فقد فعلاً .

فهذه هي قصة المكتبات التي أثرت على الحياة الثقافية في المدينة المنورة وينبغي ألا ننسى أن هناك كتباً عن التاريخ والأدب التركي يحافظ عليها في تلك المكتبات . ولذلك نلفت أنظار المهتمين [من الباحثين] .